الظَّواهرُ الاجتماعيَّةُ في المقاماتِ الزَّينيَّة
لابن الصَّيقَل الجَزَريّ (701هـ)

Social phenomena in Zayneh Maqams
Ibin al-Sa'il al-Jazari (701 AH)

حنان صلاح الدين محمد اشكنتا [1]
Hanan Salah al-Din Muhammad Ashkenta[1]

10.15849/ZJJHSS.240730.02

الملخّص

يتناولُ هذا البحثُ مفرداتِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ من خلالِ نصـوصِ المقاماتِ الزَّينيَّةِ لابنِ الصَّـيقلِ الجَزَريّ، ويسـلّطُ الضَّــوءَ على مدى تأثُّرِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ العربيَّةِ بالثَّقافاتِ المتعدِّدةِ الّتي ضــمَّها النَّســيجُ الاجتماعيّ. ويهدفُ البحثُ إلى اســـتجلاءِ العاداتِ والتَّقاليدِ، والآدابِ في الأطعمةِ والأشـــربةِ، والملابسِ والأزياءِ. واتَّبعت الباحثةُ المنهجَ الوصفيَّ التَّحليليّ، والمنهجَ الاجتماعيّ. وجاءَ في التَّمهيدِ التَّعريفُ بالمقامةِ لغةً واصطلاحًا، ونبذةٌ عن حياةِ المؤلِّفِ ابن الصَّـيقلِ الجَزَريّ. وقد تمَّ تقسيمُ البحثِ إلى مبحثين، حيثُ جاءَ في المبحثِ الأوَّلِ الأطعمةُ والأشــربةُ، وفي المبحثِ الثَّاني الملابسُ والأزياءُ. وخلصَ البحثُ إلى الاطِّلاعِ على العاداتِ والتَّقاليدِ والآدابِ في عصرِ ابنِ الصَّيقلِ الجَزَريّ، وأضافَ التَّمازجَ الثَّقافيَّ إليها.

الكلمـات المفتـاحيَّـة: العـادات والتّقـاليـد، الأطعمـة والأشـــربـة، الملابس والأزيـاء، المقـامـات الزّينيّـة، ابن الصّيقل الجزريّ.

Abstract

This research conducts the vocabulary of social life through the texts of the Zayneh Maqams by Ibn al-Sa'il al-Jazari, shedding light on the extent to which Arab social life is influenced by the various cultures that have been incorporated into the social fabric. The research aims to elucidate the customs, traditions, and etiquette regarding food and drinks, clothing and fashion. The researcher followed the descriptive-analytical and social methods. Preface contains the definition in terms of language and terminology of the Maqama and an overview of the writer's life . The research was divided into two sections, with the first section covering food and drinks, and the second section covering clothing and fashion. The research concluded by exploring the customs, traditions, and etiquette during the time of Ibn al-Sa'il al-Jazari, enriched by cultural blending.

Key words: Customs and traditions, Foods and drinks, Clothes and fashions, Zayneh Maqams, Ibin al-Sa'il al-Jazari.

[1] جامعة البلقاء التطبيقية، كلية القادسية، قسم المواد المشتركة، اللغة العربية
*** للمراسلة:** Saharsmsm277@gmail.com
تاريخ استلام البحث: 2023/12/29
تاريخ قبول البحث: 2024/04/22

[1] Balqa Applied University, Al-Qadisiyah College, Common Materials Section, Arabic Language
*** Corresponding author:** Saharsmsm277@gmail.com
Received: 29/12/2023
Accepted: 22/04/2024

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

المُقدِّمة

عُرِّفت المقامة بأنَّها أدب أفرزته العقليَّة العربيَّة، التي تميَّزت بالذائقة الأدبيَّة، وقد نقلت الكثير من العادات والتقاليد لعصور أصحاب المقامات في أبعادها التاريخيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والثقافيَّة التي عصفت بالدولة العربيَّة، في ظلِّ حكم المغول، فقد تميَّزت المقامة –فضلا عن الجانب التعليمي والحفاظ على اللغة العربيَّة– بأنَّها وثيقة تاريخيَّة في كثير من جوانبها، فهي تكشف عن الظواهر الاجتماعيَّة، وهذا ما عمد إليه ابن الصيقل الجزري، في المقامات الزينيَّة، حيث تناولت المقامات العادات والتقاليد، والآداب في الأطعمة والأشربة، والملابس والأزياء.

أهداف البحث

ويهدف البحث إلى الكشف عن بعض الظواهر الاجتماعيَّة، والعادات والتقاليد، فيما يخصُّ مفردات الأطعمة والأشربة، والملابس، وأدوات الزينة، في المقامات الزينيَّة، عصر ابن الصيقل الجزري، وانعكاس التأثيرات الثقافيَّة والاجتماعيَّة للمِلل والنِّحل التي ضمَّت المجتمع العربي على تلك الظواهر.

مشكلة البحث

تتمثَّل مشكلة البحث في الأسئلة الاتية:

ما الظواهر الاجتماعيَّة التي كانت في عصر ابن الصيقل الجزري؟

أكانت الظواهر الاجتماعيَّة امتدادًا للحياة العربيَّة أم أنَّها تأثَّرت بالثقافات التي ضمَّها النسيج الاجتماعي؟

وما صور هذه التأثيرات على مفردات الحياة الاجتماعيَّة؟

أهميَّة البحث

وتبرز أهميَّة البحث في كونه دراسة جديدة لم تُسبَق –حسب علم الباحثة– إلى الوقوف على العادات والتقاليد في زمن ابن الصيقل الجزري.

الدِّراسات السابقة

من الدِّراسات التي قد تكون لها علاقة بهذا الموضوع وجدت الباحثة دراسات عديدة، تذكر منها

- رويقي، رزيقة، الخطاب السردي في المقامات الزينيَّة لابن الصيقل الجزري مقاربة بنيوية تكوينية، جامعة أم البواقي، 2017. تهدف هذه الدراسة إلى بنية الشخصيَّة في المقامات الزينية بين التشكلُّات الفنية، والتمظهرات الأيديولوجيَّة، وبنية الزمان، والمكان، والتركيز على الإطار الزمني للمقامات الزينية في رؤية العالم. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث الأهداف، والمنطلقات، والمضمون، حيث إنَّ دراستي تنطلق من الكشف عن الظواهر الاجتماعيَّة، الآداب والتقاليد في الملبس، والمأكل، وأنواع الزينة، ورصد التغيُّرات من عدمها في هذه المفردات.
- بركاني، فايزة، مقاربة أسلوبية لابن الصيقل الجزري المقامة الطوسيَّة أنموذجًا، جامعة أم البواقي، 2021. تتضمَّن هذه الدراسة مقامة واحدة، وهي المقامة الطوسية، وعن مدى استيفاء المقامة الطوسية لمقوِّمات المقامة العربية، وعن تحقيق المستويات الأسلوبيَّة: الصوتيّة، والتركيبيَّة، والدلاليَّة في المقامة الطوسية. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث العنوان في إظهار الظواهر الاجتماعية، الملابس والأزياء،

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

الأطعمة، والأشربة، والتي كان بعضـها استمرار لمفردات الحياة العربية في بيئتها البدويَّة، أو تغيير بعضـها؛ نتيجة التمازج الثقافي العربي بمختلف الثقافات التي توافدت على حاضـرة الدولة العربيَّة الإسـلاميَّة بغداد، وما حولها، ولم تكن الدراسة مخصَّصة للمقامة واحدة، إنما تناولت جميع المقامات الزينيَّة.

- علوان، إنصـــاف ســـلمان، الرمز في المقامات الزينية لابن الصـــيقل الجزري الإيحاء الذاتي أنموذجا، كلية التربية العلوم الإنسـانيَّة، 2023. جاءت هذه الدراسـة للكشـف عن الطاقات التعبيريَّة، واللغة الإيحائية التي تميَّزت بها نصـــوص المقامات الزينية، وكيف تفنَّن الجزري بلغته الأدبية؛ لنقل تجاربه الشـــعوريَّة، ومكنوناته النفســـيَّة. وتختلف هذه الدراســـة عن دراســـتي من حيث العنوان الظواهر الاجتماعية، والمنطلقات إذ تنطلق دراسة إنصاف سلمان من اللغة الرمزيَّة، والإيحاء، واعتماد ابن الصيقل الجزري أسلوب التلميح لا التصريح، في حين تنطلق دراستي من المفردات الاجتماعيَّة في الأطعمة، والأشربة، والملابس، والأزياء، وأدوات الزينة، وتأثير العوامل الثقافية التي اجتاحت الدولة العربيَّة في عصر ابن الصيقل الجزري.

منهج البحث

اتَّبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج الاجتماعي في تتُّبع الظواهر الاجتماعية في زمن ابن الصيقل الجزري.

التمهيد

تعريف المَقامة

المقامة لغةً: ورد في معجم لســـان العرب لابن منظور المعنى اللغوي انطلاقًا، من مادة قوم، والتي أخذت منها مقامة بفتح الميم، أو ضـــمها من "قام يقوم قومًا وقيامًا وقومة، وقامة، والمقامة بالضـــم والإقامة، وبالفتح المجلس والجماعة من الناس"[1].

المعنى الاصـــطلاحي للمقامة: هي أدب نثري يتميَّز بلغة مســـجوعة، ويرى الدكتور يوســـف أنور عوض "المقامة حكاية أدبية قصـــيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتيال لجلب الرزق، وتشـــمل على نكتة أدبيَّة تســـتهوي الحاضرين"[2].

نبذة عن المؤلِّف

"هو معد بن نصر الله بن رجب بن أبي الفتح بن حسن بن إسماعيل، الملقَّب بشمس الدين، والمكنَّى بأبي الندى، والمعروف بابن الصيقل الجزري"[3].

وتذكر المصـــادر بأنَّه كان "شـــيخًا للأدب العربي في المدرســـة المســـتنصـــريَّة، وفي رواقها ســـمع المقامات الخمسين منه مئة وستون علمًا وأديبًا، وكان ذلك سنة 676هـــ"[4]. وجعل الجزري للمقامات راوٍ واحد هو القاسم بن جربال، والبطل أبو نصر المصري، ومن خلال أحداثها تبرز لنا العادات والتقاليد التي كانت سائدة في عصر ابن الصيقل الجزري.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م، ص355.

[2] عوض، يوسف أنور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979، ص8-9.

[3] الصالحي، عباس مصطفى، مقدمة المقامات الزينية لابن الصيقل الجزري، دار المسيرة، ط1، 1980م، ص37.

[4] المصدر نفسه، ص38.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

المبحث الأول
الأطعمة والأشربة

كان لاتِّســاع الدولة العربيَّة الإســلاميَّة، ولدخول الملل والنِّحل الأثر الكبير على مفاصــل الحياة العامة، وخصـــوصًـــا الحياة الاجتماعيَّة؛ لما كان لها من الأثر الكبير في نقل الكثير من العادات والتقاليد لهذه المِلل، وكذلك نقل أنواع كثيرة من الأطعمة والأشــربة، وطرق وآداب تناول هذه الأطعمة، فدخلت أنواع كثيرة من أســماء الطعام لم تكن معروفةً لدى المائدة العربية من قبل، فشــكَّلت بذلك قواعد وآداب أصـــبحت فيما بعد جزءًا من الملامح الاجتماعيَّة لعصر ابن الصيقل الجزري.

"ليس هناك من شكٍّ في أنَّ الحديث عن الغذاء –أهم مطالب الحياة– صفته وألوانه، وطرق إعداده وطبخه، وكيفية تقديمه، له أهميته القصوى للتعرُّف على وجه أساسي من وجوه الحياة الاجتماعية"[1].

الأطعمة

عرفت المائدة العربية ألوانًا كثيرةً من الطعام خاصَّـــة لدى الخلفاء، والوزراء، وأهل الثراء، و"ممَّا يؤكِّد مدى اهتمام الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعيَّة باعتبارهم أنَّ علم الطبخ علم قائم بذاته، فقد ألفوا فيه كتبًا تعكس مدى اهتمامهم بالطبيخ، وآدابه منها كتابا الأغذية وآلات الغذاء لحنين بن إســـحاق، وقد تناول فيه الغذاء من الناحية الطبيَّة، ومن أشـــهر المؤلفين في لمجال الطبخ نذكر محمد بن الحارث، وإبراهيم بن المهدي، ويوحنا بن ماسويه، وإبراهيم بن العباس الصولي"[2].

وقد اهتمَّ العرب بالموائد عناية خاصَّـة، وطغت عليها الآداب الفارسـيَّة من: "غسـل الأيدي قبل الطعام بما يسـمَّى الطسـت، ويبدأ ربُّ البيت بالغسـيل قبل البدء بالطعام بينما يغسـل يديه بعد الضـيوف عند الانتهاء من الطعام"[3].

الفواكه

تُعدُّ الفواكه عنصـرًا مهمًّا من الأطعمة في المجتمع العربي آنذاك، وتنوَّعت أصـنافها، فقد كانت تقدَّم على الموائد قبل الطعام، وكانوا يكثرون من تناولها.

ونذكر من الفواكه اليابسـة اللوز، والجوز المقشـر الأبيض والفسـتق المقشـور، من ذلك، وغيرها. وقد ذكر ابن الصـــيقل الجزري في المقامات الزينيَة الفواكه كنوع مهمٍ من مائدة مجلس اللهو، والطرب، لكنه لم يحدَّد أنواع أو أصناف هذه الفواكه، بل ذكرها بالعموم. وجاء ذكر كلمة الفواكه في المقامة الجزيرية حيث قال:

"فطفقتُ تدور علينا فواكه مفاكهاتهم، وتسير إلينا مناسم مناسماتهم، ونحن في مرج افتنانهم، ونمرح"[4].

---

[1] الحسين، عبير عبد الله أمين، الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م، ص120.

[2] المنجد، صلاح الدين، مآكل الخلفاء العباسيين، مجلة الرسالة، ع653، 1964، ص61.

[3] يوسف، أحلام، الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق، أطروحة دكتوراه، جامعة 8 ماي، 2018، ص233.

[4] أبو المطهر الأزدي، حكاية أبو القاسم البغدادي، ص38.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

وذكر في المقامة الملطية (اليقطين) على أنه نوع من الفواكه. يقول ابن جريال على لســـان أبي نصـــر المصري: "صر من المصلين، لاستثمر لك من اليقطين، واللين"[1].

وذكر الرَّمان في المقامة الجماليَّة الجونيَّة، وهو في بستان يصفه فيقول:

"أغـــازلُ غـــزلانًـــا، وألـــثُـــم لـــؤلـــؤًا وأقـــبـــضُ رُمـــانًـــا، وأرشُـــــفُ سُـــــكَـــرا"[2]

الأطعمة الشائعة

شاعت في عصر ابن الصيقل الجزري أنواع متعدِّدة من الأطعمة، وكثرت في المجتمع آنذاك، وكان هناك بعض الأطعمة للخاصَّة، وأخرى يشترك فيها الخاصَّة والعامَّة على اختلاف مستوياتهم الاجتماعيَّة.

وذكر ابن الصيقل الجزري أصنافًا من هذه الأطعمة في مقاماته، ومنها ما جاء في المقامة البغداديّة، وهي (حيســـة) ومعناها يتَّخذ من التمر والأقط: (لبن محمض حتى يســـتحجر، ويطبخ) والســـمن، إذ يقول في المقامة البغداديَّة:

"قال: فأظهر لذلك ميسة،[3] واستحضر حيسه،[4] وعانق أويسة"[5].

وجاء الكباب المشوي في المقامة الجزيريَّة حيث قال:

"ثم أنهم نهضـــوا من حالهم مرتاحين بحلاوة ارتحالهم، فذكر كل حديث قديمًا، وقبل كل نديم نديمًا، وحين حللنا محلَّ شـــقهم، وأقبلنا على نقل نقلهم وزقِّهم، ملنا إلى شّـــي الكباب، وغي الحباب، ونشـــر الحباب، وطي الضباب"[6].

ومن الأطعمة المتداولة والمعروفة قديمًا عند العرب هو الثريد الذي ظلَّ حاضـرًا على المائدة العربية، وهو دلالة على تمسُّك العرب بالأطعمة العربيَّة الأصـيلة على الرغم من دخول مئات الأصـناف والألوان من الأطعمة الفارسيَّة والتركيَّة والمغوليَّة والرومانيَّة وغيرها.

"والثريد أو التشريب هو نوع من الموائد التي شاعت، وانتشرت في الحياة الاجتماعيَّة عند عرب الجاهليَّة، وتشـتهر باسـم (الفتَّة) حتى وقتنا الحالي، وتعتمد مائدة الثريد بصـورة أسـاسـيَّة على تقطيع (ثرد) الخضـروات، أو الخبز، أو كلاهما إلى قطع صـغيرة الحجم في صـحن عميق، ثم تغمس بمرق اللحم، ويُسـتخدَم عادةً خبز الرقاق في هذه المائدة"[7].

---

[1] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الجزيرية، ص574.

[2] المصدر نفسه، المقامة الملطية، ص336.

[3] ميسه: تبختره.

[4] حيسه: طعامه، والحيس يتخذ من النمر والأقط والسمن.

[5] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة البغدادية، ص87.

[6] المصدر نفسه، المقامة الجزيرية، ص576.

[7] محمود حسين عبيد الله العزازمة، تصور الشعر الجاهلي للحياة الاجتماعية: دراسة في أنواع الطعام وأونيه، بحث مقدم لجامعة حائل، المملكة العربية السعودية، 2015، 941.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

وذكر ابن الصيقل الجزري في المقامة الصوفيَّة الأرزنكانيَّة الثريد كصنف من الطعام المتداول والبسيط مقارنةً بباقي الأطعمة الجديدة والمبتكرة التي تزينت بها المائدة العربيَّة، يقول: "فأخرج مريسا من جرابه، الذي اضطبنه، وجرى به"[1].

الأشربة

ضمَّت المقامات الزينيَّة الأشربة، وكانت في الغالب الخمر جزءًا أساسيًّا من مجالس اللهو والشراب، وقد وردت أسماء عديدة للخمر، منها: الخمر الأحمر، يسمَّى "قرقف" و"الخندريس" و"الكميت"، وجاءت في المقامة المارديَّة حين قال الراوي القاسم بن جريال لأبي نصر المصري: "فقلت له هل لك من ارتشاف قرقف المرافقة، والاعتكاف بجامع هذه الموافقة، لنطفئ بماء المواصلة نيران البعاد"[2].

وفي موضع آخر من المقامة نفسها قال أبو نصر المصري: "ثم أنَّه مرج لتحصيل البيت، وإحياء قربنا الميت، وبيع الأدهم لشراء الكميت، ولما أخذ لتحويل أداته، وإصلاح لُحمة الأدب وسَدَاته، وشرع في نقل دوياته مع حسن أدواته، كنت بحمل جلائله من المجلّين، وبقلبه مقابلته من المصلين، وحين حصل بها الخندريس، واتَّصل بها الأنيس، وبدت مسرتنا تميس، كأنها لميس، جعلت أكشف بها خمار المخمرات"[3].

وفي المقامة الجزيريَّة جاءت كلمتا "العقيان" و"شمطاء" حيث قال: "تخيرنا وهدة لزفن[4] القيان، وروضة لا دارة العقيان". وقال أيضًا: "فقلنا لهم: هل لكم في ارتشاف شمطائنا، والانعطاف لتطاف زهر وطائنا"[5].

وجاء في المقامة الأهوازيَّة بعض أنواع الأشربة المتداولة مثل "الخائر" و"المخيض" وهي أشربة يطالب به الفتى لوالدته المسكينة، فقد وصل الفقر إلى حدِّ الاستجداء بأشياء بسيطة ومتداولة. يقول:

"واسمحوا لي بخاثر، ومخيض وطعام من اللطيف غزير"[6]

والخاثر هو اللبن الممزوج بالماء، وهو نوع من الأشربة المتداولة بين الناس، وما يزال هذا الشراب شائعًا في وقتنا الحاضر، وكذلك المخيض، وهو الحليب وقد يُسمَّى اللبن، ويُستخرَج منه الزبدة، والقشدة[7].

المبحث الثاني

الملابس والأزياء

ما انفكَّت الملابس تعكس تراث وذوق صانعيها، ودليل على تطوُّر البلاد، فكان العرب قبل الإسلام يجلبون أفخر أنواع الأقمشة، وأجملها، واستمرَّ العرب بجلب الأقمشة دون صناعتها. ومع التطوُّر الكبير الهائل الذي طال جميع صناعات في الدولة العربيَّة، بما فيها صناعة الملابس، فأصبحت الدولة العربيَّة تصنع الملابس بدلا من جلبها من الدول المجاورة.

---

[1] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الصوفية الأرزنكانّية، ص509.

[2] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة المارديّنية، ص238.

[3] المصدر نفسه.

[4] زفن: بفتح وسكون: الجواري والمغنيات.

[5] المصدر نفسه، ص576.

[6] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الأهوازية، ص489.

[7] المصدر نفسه، المقامة الجمالية الجونية، ص556.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

"اســتمرَّ العباســيون في الاهتمام بديوان الطراز الذي كان قائمًا من قبل، يتولَّى الإشــراف على صــناعة الألبسـة الرسـميَّة للدولة وللخلفاء وللجيش وغيرهم، والذي كان قائمًا في عهد بني أمية، إضـافة إلى الاسـتفادة من الصناعات الحرفيَّة النسيجيَّة التي كانت قائمة في العراق، والتي كانت تحسن نسجها الفئات الاجتماعيَّة"[1].

حيث أضــافوا "أســماءهم، أو علامات تختصُّ بهم في طراز أثوابهم المُعدَّة للباســهم من الحرير والديباج، وتكون كتابة خطِّها من نسيج الثوب الخام، وإسداء بخيط الذهب، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونَّة من غير الذهب، فتصير الثياب الملوكيَّة معلَّمة بذلك الطرز، وهذا ما يُعرف بالوشي أو التحبير"[2].

وممَّا يجدر ذكره تأثر المجتمع العبَّاسي، ومن ثم المملوكي من بعدهم بأزياء المجتمعات الأخرى، ولا سيما الفرس الذين أمدّوا الحياة العربيَّة آنذاك بكثير من مظاهر الحضـارة الفارسيَّة، ومن بينها الألبسـة والأزياء، والتمازج مع طريقة العرب وعاداتهم، "ويعكس الامتزاج الحضـاري بين عناصـر المجتمع المختلفة، والتباين الاجتماعي بين فئاته، حيث كان لكلِّ فئة من الناس لباسًا خاصًّا تتميَّز به حسب الدرجة العلميَّة والوظيفيَّة، والمنزلة الاجتماعيَّة، فقد كان للخلفاء زيُّهم الخاص، وللأمراء زيُّهم الذي يميِّزهم، كذلك أهل العلم، والقضـــاة، وموظفو الدولة من جند، وغيرهم"[3].

لباس الرأس

أ. العمامة

تعدُّ العمامة مظهرًا من مظاهر الأزياء التي تختصُّ بالرجال دون النســـاء، فقد وردت العمامة في كتاب المخصَّص لابن سيده، "العمامة ما يلاث على الرأس تكويرًا، وقد تعمَّم بها، واعتمَّ، وأنه لحسن العمة"[4].

وقد جاء ذكر العمامة في المقامة الآمديَّة كجزء من اللباس الاجتماعي، وكامتداد للبس العربي الأصيل في عصر ابن الصيقل الجزري حيث قال: "فسارع إلى استرجاع العمامة، وأرحني من سحوح هذه العمام"[5].

لباس البدن

أ. الإزار

هو من الألبسة التي تُستخدَم للجسم يستوي منها النساء والرجال، "الإزار، أو المئزر كما يُسمَّى أحيانًا، وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلفُّ الجســم، وتعقد في وســطه من تحت الســرَّة فيها إزرار، وهو لباس شــائع بين طبقات المجتمع منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–"[6].

---

[1] الجنابي، طلب صبار، رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الأول، تموز للنشر، 2013، ص111.

[2] سلام، حورية عبده، الحياة الاجتماعية زمن البويهيين، دار العلم العربي، القاهرة، 2008م، ص110.

[3] يوسف، أحلام، الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق، أطروحة دكتوراه، جامعة 8 ماي، 2018، ص217.

[4] أبو الحســن، علي بن إســماعيل الملقب بابن ســيده، المخصــص، تحقيق: خليل إبراهيم جمال، دار إحياء التراث العربي، ط1، ج4، 1996م، ص84.

[5] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الآمدية، ص387.

[6] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص16–18.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

وفي المقامة السروجيَّة ذكرت الإزار: "وألبسه من المنحسة إزارًا، وجعل عنفته[1] لقلب قلب أخي موسى مزارًا[2].

ب. الجبَّة

تُعدُّ الجبَّة من الألبسة التي تناولها في مقاماته، والجبَّة عبارة عن "حلَّة تُلبَس فوق الثوب في الشتاء عادةً وتكون قصيرة الأكمام، فيها حشمة ووقار يتَّبع في خياطتها مقاييس لها أكمام وجيوب طويلة وعريضة، لبسها المسلمون في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكانت بسيطة في شكلها مصنوعة من الصوف، واتَّخذها عمَّال الخلفاء الراشدين عند دخولهم على الخليفة، وقد تطوَّرت في العصر العباسي، وتنوَّعت فمنها مكفوفة الحواشي، ومنها المحشوَّة المبطَّنة"[3].

كما وامتدَّ لبس الجبَّة لعصر ابن الصيقل الجزري، وذلك استمرارًا لما كان في العصر العباسي، ووردت الجبَّة في مقامات ابن الصيقل الجزري، في المقامة الفرضيَّة حيث قال: "وألبسني جبَّة أجادها كفٌّ إسكافها، وكثر جواب سؤال ميمها، وكافها"[4]

ووردت كذلك في المقامة الأهوازيَّة إذ يطلب الفتى البأس من الولاة أن يجبروا خاطره بلباس متداول بين الناس ألا وهو الجبَّة، حيث قال:

"وأجبروني بجّبةٍ، وبجاد مع جذاذ من النّضير نضير"[5]

ج. الجربان

وتعني جيب القميص، وشكَّلت حضورًا في هذه المقامات بوصفها نوعًا من أشكال الملابس، وظهرت في المقامة اليمنيَّة، "وانسجم بلبانه ما رخص محمل جربانه، مضني بأقناعه، وحضَّني حسن حطِّ قناعه"[6].

د. القباء

وهو من الألبسة التي طرأت على الثقافة العربيَّة بفعل الامتزاج الثقافي للمِلل والنِّحل الذي ضمَّ المجتمع العربي آنذاك، وهو "لباس طويل قد يصل إلى الأرض، ومفتوح عند الرقبة يبدو القفطان من تحته؛ كما يفعل الخلفاء، وكانت أكمام القباء ضيِّقة حتى عهد المعتصم الذي استحدث الأكمام الواسعة، ومنه ما شُقَّ من الخلف، أو من لبس الأكمام الواسعة التي يصل عرضها ثلاثة أشبار"[7].

وأمّا الأكمام فضيقة وقصيرة في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– حتى عهد المستعين، الذي أحدث لبس الأكمام الواسعة، فبلغ عرضها ثلاثة أشبار، وفي القرن الرابع الهجري أصبحت مشقوقة عند القُضاة، ولهذا

---

[1] عنفته: شعيرات بين شفته السفلى وذقنه.

[2] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الآمدية، ص463.

[3] رحمة الله، مليحة، الملابس في العراق خلال العصور العباسية، المجلة المصرية نشر في مجلد 13، طبعة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص163.

[4] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينة، المقامة الفرضية، ص532.

[5] المصدر نفسه، المقامة الأهوازية، ص489

[6] المصدر نفسه، المقامة اليمنية، ص586.

[7] المصدر نفسه، المقامة اليمنية، ص586.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

فائدة؛ إذ أُســتعمِلت للخزن مقام الجيوب، فالمأمون مثلا خزَّن حبات الدر الكبار، ونثرها على حصــير من ذهب، عندما جلبت بوران"[1].

واستمرَّ هذا الشكل من أشكال الألبسة في عصر ابن الصيقل، جاء ذكرها في المقامة البزاعيَّة للدلالة على أنها لبس الأغنياء، وكان يُقصَــد بهذه اللفظة، هو الجمع بين الغني والفقير، يقول: "لتفخر لفظة بفنونك الحِســان، وتجمع بين القباء، والطيلسان"[2].

هـ. الطيلسان

وهو من ألبســة الرجل التي اختصَّ بها الرجال دون النســاء، وهو "من الألبســة العربيَّة ذات الأصــول الفارسيَّة، حيث لبسه المسلمون اقتداءً بالرسول –صلى الله عليه وسلم– مع العمامة، وهو عبارة عن كساء ليس له أكمام، أو جيوب خالٍ من التفصيل لحمته، أو السداء من صفوف، ويُوضَـع فوق الكتف، أو الرأس، ويتدلَّى على الجبين، ويغطي نصف الوجه"[3].

وقد يلفُّ الطرفان الأماميان حول الرقبة، ويتدليان على الأكتاف، أمَّا الطرفان الخلفيان فيتركان على الظهر، ويُعتبَر الطيلسان من الألبسة جميلة المنظر، وغالية الثمن، وقدم الطيلسان كخلع من الخلفاء إلى الأمراء والوزراء، وكذلك أصحاب المراتب العالية، وقد ذُكر أيضًا في الشعر باسم السجيان[4].

"وللطيلسـان ألوان، الأخضـر وهو الشـائع، والأبيض والأسـود، هذا وقد لبس الطيلسـان كلٌّ من القُضـاة، والخواص من العلماء، والمشايخ، والنسّاك، والكتَّاب، والوعَّاظ، والأدباء، وحتى العامة"[5].

وجاء ذكر لباس الطيلســان إلى جانب القباء في المقامة البزاعية؛ للدلالة على أن القباء يلبســه الأغنياء عادةً، والطيلسـان ممَّا يلبسـه أسـاتذة الفقه، وقد قصـد بقوله الأغنياء والفقراء، حيث قال: "لتفخر بفنونك الحِسـان، وتجمع بين القباء والطيلسان، ومع هذا الرأي الرزين، ووجه هذه الوجه الحسن التَّزيين"[6].

و. السروال

يُعدُّ السـروال من الألبسـة الشـائعة في المجتمع العربي آنذاك، يشـترك فيه الرجال والنسـاء على حدٍّ سـواء، ويُستخدَم "لستر العورة أسفل الجسم، وقد اهتمَّت النساء بلبس السراويل البيض المذيَّلة، والمزيَّنة بتكة الإبرسيم، أمَّا عمَّال الحمَّامات فيلبسون ما سُمِّي بالتبَّان، وهو سروال صغير داخلي مقدار يسير يستر العورة المغلظة فقط"[7].

---

[1] آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص226.

[2] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة البزغية، ص459.

[3] الصابي، رسوم دار الخلافة، ص91–92.

[4] الجاحظ البيان والتبيين، ج2، ص342.

[5] الصابي، رسوم دار الخلافة، ص91–92.

[6] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة البزاعية، ص459.

[7] الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن يحيى، الموشي أو الظرف والظرفاء، تحقيق كمال مصطفى مكتبة الخانجي، القاهرة، 1953م، ص160–163، أذي شبر، الألفاظ الفارسية المعربة، ص88.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

وذكر ابن الصيقل الجزري هذا النوع من الملابس في المقامة الشهرزورية، بعد ما طلب البطل من القاسم بن جريال، مقابلًا ماديًّا لشربه الخمر، ولم يبقَ عليه سوى السروال، فيقول: "وذممت طالع ذلك التحويل، وجرعت علقم ذيالك التنويل، وخرجت من بيته، وأنا لا أملك سوى السراويل"[1].

ز. غطاء الرأس

يُعدُّ غطاء الرأس من الألبسة التي عرفها العرب قديمًا، وقد تطوَّر شكلًا بتطوُّر العصور والأزمنة، وهي تختصُّ بالنساء دون الرجال، وهي عبارة عن "غطاء الرأس فيتكوَّن من القانع، والخمار، وقد يكون من الصوف، وغالبًا ما تكزن المقانع، والخمار أسود اللون، والعصابة، والتي منها المرصَّعة بالجواهر، والأحجار الكريمة، وهي من ابتكار عُلية أخت الرشيد، فقد ذُكر أنَّ أبا الحسن دخل على الرشيد يومًا، وحوله وقفن جواري لبسنَ عصابة منضَّدة بالدر، والياقوت مكتوبٌ عليها بصفائح الذهب شعرًا، وقد يزيَّن الرأس بحلية ذهبيَّة حولها عصابة منضَّدة بالجواهر"[2].

وورد في المقامة الآمدية هذا النوع من الألبسة، إذ جاء فيها: "ثم سرتُ معه بعد قذف الجمار،[3] وكشف قناع الخفر الخمار[4]، وتذكّر وقعة الحمار،[5] إلى مسكن الخمَّار"[6].

لباس الأرجل

أ. النِّعال

استعمل العرب النّعال لباسًا للأرجل منذ القدم، واتَّخذت أشكالًا متعدِّدة، وتعدَّدت أصنافها، واشتهرت كلُّ فئة من فئات المجتمع بنوعٍ خاصٍّ اتَّخذته لباسًا لها، حيث اشتهرت أنواع عديدة من النعل تباعًا لنوع الخشب الذي يُصنَع منه، واختلفت نعل نساء الخلفاء والمترفات الذي تميَّز بترصيعه بالأحجار الكريمة والجواهر عن نعل نساء العامَّة، وبذلك أسفرت زينة النعل عن فئة صاحبها.

وذكر ابن الصيقل النَّعل في المقامة البغداديَّة، كحيلة من قِبل أبي نصر المصري؛ ليوقع الراوي القاسم بن جريال في البئر ويأخذ ثيابه، وحتى نعله، إذ يقول: "ولظت ثيابي، وخلعت نعلي"[7].

مواد الزينة

عرف العرب أنواعًا مختلفة من الزينة، ولعلَّ أهمَّ هذه المواد الخِضاب الذي تزيَّن به الرجال، والنساء على حدٍّ سواء، وكذلك عرف العرب الكحل والمكحل، والطيب والعطور.

أ. الخِضاب

الخِضاب كلُّ ما يخضب شعر المرء بتغيُّر لونه، بعدما غزا الشيب شعره، والأمر غير مقتصرٍ على "الحنَّاء" فقد عرف العرب "المسك". و لقد وردت في المقامات الزينيَّة أنواع من الخِضاب؛ لتغطية شيب الرجال

---

[1] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الشهروزية، ص314.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد الحميد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ج8، 1983م ص128-132.

[3] قذف الجمار: من مناسك الحج، لكنه يقصدبها: تسوية الموقف من الخمار.

[4] الخمار: غطاء الوجه.

[5] وقعة الحمار: يشير إلى ما وقع له في المقامة الثامنة والعشرين.

[6] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة الآمدية، ص386.

[7] ابن الصيقل، المقامات الزينية، المقامة البغدادية، ص91.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

فيبدون أصـــغر عمرًا من أعمارهم الحقيقيَة، ولنيل إعجاب الجواري، حيث قال: "كنت قبل انســداد باب اقتداري، واحتداد باب الضرَّر لانهدام دار مقداري، مشغوفًا بجارية شريتها أيام الاقتدار، وجعلتها عدَّة لكسر عساك الأقدار، فحين قبض قاضــب الغِيَرِ أســباب الاكتســاب، وكفر[1] كافور الكبر إناب[2] اشــتداد الشــباب، قوَّضــت خيام طاعتي"[3].

ب. الكُحل

عرف العرب قديمًا الكُحل مادةً من مواد الزينة التي تضيف للعين سحرًا خاصًّا، وتزيدها جمالًا ورونقًا.

يقول ابن الصيقل الجزري على لسان راويه القاسم ين جريال: "يزعم أنَّه سمع حلحلته، وقد سرق مكحلته، والمحنث يزعم أنه سرق ميله، وقصد مقيله، قد رنوت قبله إلى الباب، دنَّو الذباب"[4].

ج. الطيب والعطور

من بعد ما رأينا اهتمام العرب بالملابس والأزياء، وحرصــوا أيضًــا على اقتناء أجمل العطور، وأجود أنواع الطيب.

وجاء في المقامة البغداديَّة ذكر للعطر، والشـــجر الذي يُســـتخرَج منه الطيب، فيقول الراوي: "لعلمك أنَّ الشباب شعبة من الجنون، رغبة أن يُحجَّ عرفة معرفة عقلها ويعود، ويعج برمي جمار جهازها ويجود، ولما وردت هذا القليب[5]، وأردت في متجر الندامة التقليب، بادرت لأبُلَّ غُلتي، وأبل من مرض هاتيك علَّتي، فشــغلت لوجود الالتياح[6]، وعدم الارتياح، بالماء القراح[7]، عن حُلَيّ الأحراح[8] فهبط فيه مُذ هبطتُ، وســـقط في يدي ريثما سقطتُ، فكنت كمن حفظ الفرث[9]، وأفسد عن السمين الغثَّ، واللاب[10] الشتَّ[11]"[12].

الخاتمة

حاولت هذه الدراســة الكشــف عن الحياة الاجتماعيَّة في عصــر ابن الصــيقل الجزري، ومفردات الحياة الاجتماعيَّة المتمثِّلة بالأطعمة والأشربة، والأزياء والملابس، التي هي مؤشِّر لتطوُّر الحياة في أبعادها السياسيَّة، والاقتصــاديَّة، والاجتماعيَّة، وتعكس مدى اهتمام المجتمع بهذه المفردات، والعمل على توفيرها وصــناعتها. وقد وصلت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمَّة، منها:

---

[1] كفر: غطى. كافور الكبر: الشيب.

[2] ناب: الشعر الأسود، فالكافور لونه أبيض، والاناب، أي المسك: أسود.

[3] ابن الصيقل، المصدر نفسه، المقامة الحموية، ص426.

[4] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، المقامة البحرانية، ص209.

[5] القليب: البئر.

[6] الالتياح: الجوع.

[7] القراح: الخالص.

[8] القراح: الخالص.

[9] الفرث: التافه.

[10] الاب: العطر.

[11] الشت: شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به.

[12] المصدر نفسه، المقامة البغدادية، ص90.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

- كان للامتزاج الحضـــاري الذي تضـــمَّنه المجتمع العربي آثاره على مفردات آداب المائدة العربيَّة، من تعدُّد أصـناف الطعام والشـراب، والآداب في تناوله لم تكن مألوفةً عند العرب، فشـكَّلت بذلك الملامح الاجتماعيَّة لعصر ابن الصيقل الجزري.
- ضـمَّت المقامات الزينيَّة أنواعًا متعددةً من الأطعمة تنوَّعت بين الجديد والقديم، مثل "الثريد" الذي ظلَّ حاضـرًا على المائدة العربيَّة، وهو علامة دالة على تمسُّـــك العرب بتراث الثقافة العربيَّة، على الرغم من دخول مئات الأصناف والألوان من الأطعمة الفارسيَّة والسلجوقيَّة، والمغوليَّة، وغيرها، ومن الأطعمة الجديدة مثل الكباب.
- وردت في المقامات الزينيَّة أســـماء للخمر متعدِّدة مثل الخندريس والشـــمطاء والعقيان والكميت، وغيرها من الأسـماء، كما نرى أنواعًا أخرى من الأشـربة كانت في زمن ابن الصـيقل الجزري، واسـتمرَّ اسـتعمالها إلى الوقت الحاضر مثل الخاثر، والمخيض.
- شـهدت الدولة العربيَّة الإسـلاميَّة تطورًا هائلًا شمل جميع نواحي الحياة، وشمل هذا التطوُّر صـناعة الملابس بدلا من جلبها من الدول المجاورة كما كان سـائدًا، كما تأثَّرت صـناعة الملابس بمظاهر الحضـارة الفارسـيَّة، ومن ثم المملوكيَّة، في المطرزات، وتزينها بشـتَّى أنواع الجواهر والأحجار الثمينة، وانقسـمت الملابس بتقسـيم فئات المجتمع، حيث كان لكلِّ فئة من الناس لباسًا خاصًّا تميَّز به حسب الدرجة العلميَّة والوظيفيَّة.
- تنوَّعت الملابس بين ألبسة الرأس مثل "العمامة" وغطاء الوجه "الخمار"، ولبس البدن "الإزار" الذي يستوي في لبسـه الرجال والنسـاء، كما ضـمَّت المقامات الزينيَّة ذكرًا لملابس طرأت على المجتمع العربي، فشـكَّلت جزءًا من ثقافتها العربيَّة مثل "الطيلســان" وهو من الألبســة المختصَّــة بالرجال دون النســاء، والتعرُّف على أدوات الزينة مثل الخِضاب، والمكحلة، وغيرها.
- كما نرى أنَّ النَّعل الذي كان معروفًا عند العرب، لكنَّه اتَّخذ أنواعًا متعدِّدةً بحسـب أماكن جلبه، كما دلَّ النَّعل على منزلة، وفئة صاحبه الاجتماعيَّة، بسبب الإكثار من تزينه بالحجار الكريمة، وترصعيه بالجواهر من قِبل نساء الخلفاء، وغيرهنَّ من أصحاب المناصب العُليا في المجتمع.

المصادر والمراجع

المصادر

- الأزدي، محمد أبو المطهر، حكاية أبو القاسم البغدادي، تحقيق آدم متز، هيدلبرغ، 1902م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
- الجنابي، طلب صبار، رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الأول، تموز للنشر، 2013.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق خليل إبراهيم جمال، دار إحياء التراث العربي، ج4، ط1، 1996م.
- الشـــابشـــتي، أبو الحســـن علي بن محمد، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، ط2، 1966م.
- الصـابي، هلال بن المحسـن، رسـوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024

- ابن الصـــيقل الجزري، أبو الندى معد بن نصـــر الله بن رجب البغدادي، المقامات الزينية، تحقيق عباس مصطفى الصالحي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1980م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرســـل والملوك، تحقيق فريدريك كرن، دار المعارف، القاهرة، 1960م.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط3، القاهرة، 1965م.
- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه، ليدن، 1906م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسـان العرب، تحقيق علي الكبير، ومحمد أحمد حسـب الله، وهاشـم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1998م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لســـان العرب، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.
- الوشاء، محمد بن إسحاق بن يحيى، الظرف والظرفاء، تحقيق فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

المراجع

- الصالحي، عباس مصطفى، مقدمة المقامات الزينية لابن الصيقل الجزري، دار المسيرة، ط1، 1980م.
- سلام، حورية عبده، الحياة الاجتماعية زمن البويهيين، دار العلم العربي، القاهرة، 2008م.
- علي، أمير ســـيد، مختصـــر تاريخ العرب، نقله إلى العربية رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938م.
- عوض، يوسف أنور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م.

الرسائل الجامعية

- الحسـين، عبير عبد الله أمين، الشـعر الاجتماعي في الأندلس في عصـر بني الأحمر، رسـالة ماجسـتير، الجامعة الأردنية، 2007م.
- يوسف، أحلام، الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق، أطروحة دكتوراه، جامعة 8 ماي، 2018.

الأبحاث المحكمة

- العزازمة، محمود حسين عبيد الله، تصور الشعر الجاهلي للحياة الاجتماعية، دراسة في أنواع الطعام وأوانيه، بحث مقدم لجامعة حائل، المملكة العربية السعودية، 941، 2015م.

المجلات العالمية

- رحمة الله، مليحة، الملابس في العراق خلال العصور العباسية، المجلة المصرية نشر في مجلد 13، طبعة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، د. ت.
- المنجد، صـلاح الدين، صـور من العصـر العباسـي مآكل الخلفاء العباسـيين، مجلة الرسـالة، ع653، بتاريخ 1946/2/11م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2024